نعوقه النيران ، يدفعه الاخلاص ولا يمنعه الرصاص : رجل والرجال فى الدنيا قليل ، وهناك . . . عند شجرة الحرية سالت دماء الرجال والرجال فى مصر كثير ، وفى لهيب المجد تراكم الوقود من الجنود ، وعلى مذبح الفداء تراحمت من الضحايا الوفود .

طلعت الجنود الانجليزية من إحدى المنعطفات وراحت مناجل الموت تحصد زرع الوطن ، والشباب مع ذلك يستبق الى الحتوف كلما ذاب صف تقدمت صدوف ، ثم سقط مصطفى فدفقت لرفع العلم الوقاد . ويلاه ! ماأمر الذكرى ولكن ماأحلاها ! ! لقد رأيت مصطفى قبل أن يسلمه ملك الموت سر الحياة : عيناه تبسمان فى رضا وإيمان ، الالم يمزق ضلوعه ، الدم يدفق من فمه ، شفتاه تهمسان بكلمات خافتة ، أكبر اليقين أنها تسبح بمجد الوطن .

ورأيت الضابط الانجليزى الذى صرعه يمسده على خطوات منه ، ورآه كذلك مصطفى ، فكأن رؤيته له حلت عقدة من لسانه فهتف «فداء الوطن — لتحى مصر » ثم أغمض مصطفى عينيه ونقل إلى المستشفى حيث استرد الله فيه وديعته .

هذه هى الذكرى التى حطمت أعصابى أمس ، وأزجت إلى روحى الحزن ، وكلفتنى قطرات من الدمع ، ولكنى رغم كل شىء لم أتمالك أن ابتسمت من خلال الدموع . لأن فى مصر رجالا يعرفون كيف يستجلب الموت . حين تكون فى الموت الحياة . . .

لست أشك أن ذكرى مصطفى — أول الشهداء — قد مست من قلوبكم مكامن الحسرة ، بل انى لاأغلو اذا قلت إن غير قليل منكم ترجحت فى عينه دمعة أو دمعتان ، وجرت فى عروقه هزة عنيفة ، بل سأمضى إلى أبعد من هذا ، فازعم أن بعضكم سيقاسى الذى قاسيت من سهد وجهد فى دفع الأرق !

أيها الناس ! اذكروا مصطفى ماهر أمين ، فقد مات لتحيوا !

أيها الوطن ! اذكره فقد جاد بدمه لتكتب به سطورا فى صفحة الحرية والمجد والخلود ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود

أيها الخلود ! سجل اسمه فى سفر الابطال الخالدين

أيتها الجنة ! التى اعددت لمن أحسن عملا . أعدى له مكانا بين الشهداء والصديقين . . .

وأنت يارب . أكرم مثواه وابسط عليه جناح رحمتك ، فقد مات فى الشباب

محمود البكرى القلوصناوى

فى الأدب العربى

شـــوقى

١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م

للاستاذ عبد العزيز البشرى

هو أحمد شوقى بك بن أحمد شوقى بك . ولد بالقاهرة ونشأ فيها . وقد حدث عن نفسه فى مقدمة الطبعة الأولى لديوانه (الشوقيات) قال : « سمعت أبى يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ، ويقول إن والده قدم هذه الديار يافعاً يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والى مصر محمد على باشا . . . . فاتخذه الوالى فى معيته ، ثم تداولت الأيام ، وتعاقب الولاة الفخام . وهو يتقلد المراتب العالية ، ويتلقب فى المناصب السامية ، إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية » . ثم ذكر طرفاً عن سيرة جده لوالدته إلى أن قال عن نفسه : « أنا إذن عربى ، تركى ، يونانى ، جركسى » .

وقد كفلته من المهد جدته لأمه ، وكانت فى يسر ونعمة ، على حين أتلف أبوه ماورثه عن أبيه . ولقد كانت جدته تلك من وصائف قصر الامارة فى عهد اسماعيل . قال : « حدثتنى (يريد جدته) أنها دخلت بى على الخديو اسماعيل ، وأنا فى الثالثة من عمرى ، وكان بصرى لاينزل عن السماء من اختلال أعصابه ، فطلب الخديو بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقعت على الذهب اشتغل بجمعه واللعب به ، فقال لجدتى اصنعى معه مثل هذا فانه لايلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض . قالت هذا دواء لايخرج إلا من صيدليتك يامولاى . قال جيئى إلى به متى شئت .

فلما بلغ الرابعة أدخل فى مكتب الشيخ صالح ، وكانت نشأته فى خط الحنفى ، وقد جاز بعد ذلك متفوقاً بارعاً مرحلتى التعليمين الابتدائى والثانوى . فلما تقدم إلى مدرسة الحقوق اعتل ناظرها عليه لصغر سنه . على أنه دخلها ودرس بها عامين . وكان قد أنشىء فيها قسم للترجمة ، فعدل إليه ولبث فيه سنتين أخريين ، واحرز الاجازة النهائية . والحقه المرحوم الخديو توفيق بمعيته . ثم أشخصه على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب الفرنسية ، على أن يقضى عامين فى مدينة « منبلييه » ، وعامين فى باريس . حتى إذا أحرز الشهادة النهائية رأى ولى الأمر أن يظل فى فرنسا ستة أشهر

أخرى فقعل ، وعاد بعدها إلى مصر ، وتولى منصبه فى معية الأمير . وفى سنة ١٨٩٦ م ناب عن مصر فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى جنيف من أعمال سويسرا .

وما برح شوقى يتدرج فى المناصب حتى تولى رياسة القلم الافرنجى فى المعية الخديوية . ولما نشبت الحرب الكبرى أزيل عن منصبه . ثم رؤى له أن يغادر البلاد ، فاختار برشلونة من أعمال أسبانيا مثوى له ولأسرته . ولم يؤذن له فى العودة الى مصر إلا بعد أن استقر السلام العالمى .

ولقد رأيت أن أكبر منصب سما إليه شوقى فى معية الخديو هو رياسة القلم الافرنجى ، على أن نفوذه وسلطانه لقد تجاوزا شأن هذا المنصب إلى حد بعيد ، فلقد نال من الحظوة عند ولى الامر مالم ينله من قبل أحد . فكانت داره (كرمة ابن هانىء) مثابة طلاب الحاجات ، ومورد المستشفعين من كل ناحية ، صغار الناس وكبارهم فى هذا بمنزلة سواء . فلقد كانت إشارته حكما ، وطاعته عند أكثر الحكام من بعض المغانم .

ولقد كانت مصر إلى ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية ، فكان شوقى كثير الاختلاف إلى الآستانة ، فلا يكاد يدخل الصيف من العام الا وهو على جناح السفر إليها ، فلا يلقى من أولياء الامر هناك إلا الاجلال والنزول فى منزل الكرامة . ولقد انتهى إلى الخليفة فى إحدى السنين خبر مقدمه فأمر بأن يقيم ما اقام هناك ضيفاً على مقام الخلافة . وأنعم عليه بالرتبة الأولى من الصنف الثانى وهو يتقدم بها على بعض من يحملون لقب الباشوية . كما انعم عليه بكبار الاوسمة من الدولة العلية ، ومن ألمانيا (قبل الحرب) ومن الدولة السورية .

وكان ، رحمه الله ، شغفاً بالسياحة فى الغرب وفى بلاد الشرق القريب ، ولكنه فى مؤخرات عمره قصر سياحاته على البلاد السورية واللبنانية ، فيلقى من أعيانها وأدبائها أبلغ العطف وأعظم الاكرام

وفى سنة ١٩٢٧ عقد فى مصر مؤتمر لتكريمه اشترك فيه عنق من رجالات مصر وعلمائها وأدبائها ، وحضر إليه عدد غير قليل من أعيان الأدباء فى الاقطار العربية . وتوجت حفلة التكريم برعاية حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فؤاد الاول حفظه الله . لقد عاش شوقى مبجلا عالى الاسم ، رفيع المنزلة . فلما قبض إلى رحمة الله تعالى أقامت له وزارة المعارف بالاشتراك مع طائفة من أعيان أهل الفضل والأدب حفلة تأبين دعت إليها كبار العلماء والأدباء فى الأقطار العربية . وشرفها جلالة الملك المعظم بنائب عن ذاته الكريمة . وقد أقيمت هذه الحفلة فى دار الأوبرا الملكية فى شهر ديسمبر من السنة التى قبض فيه .

وبعد ، فقد تقلب شوقى من أول نشأته فى النعمة ، واصاب ما شاء من متع الحياة ، ولو قدر لخلق من الناس أن يدركوا كل مناهم ، وأن يبلغوا الحياة مدى أشرها ، لكان شوقى من احدهؤلاء .

واذ قد عرفت هذا فلا يتعاظمنك ما ترى من شيوع الترف فى شعره ، فلا تقع من تشبيهاته ، فى غير المآسى ، الا على كل فاخر ثمين (١)

صفاته وأخلاقه

كان شوقى ذكيا وافر الذكاء ، حيا جم الحياء ، لايتبسط فى الحديث إلا إذا خلا له وجه صديق أو صديقين . ولعل بعض ما حمله على هذا أن طلاقة لسانه لا تكافىء فصاحة قلمه ، ولا توافى مطالب عقله . يكره الدخول فى زحمة الناس ، وينفر من شهود الحفل الجامع ؛ إلا أن ينقبض فى ركن من ملهى أو ملعب ، وادع النفس ، هادىء السعى . لا تراه يعنف ، وقل أن يستفزه الغضب . عطوف شديد العاطف ، رحيم كثير الرحمة . ينفر من ذكر المآسى وينفر من رؤيتها فراراً . على أنه مع هذا قد راض نفسه على الصبر على المكروه ، ودربها على الرضا بالقضاء واقماحيث وقع . فاذا لحقه المكروه راح بذهنه يستخرج من بعض نواحيه خيراً . فان تعذر عليه استراح فى النهاية ، إلى أن الله تعالى إنما دفع به ما هو أكره .

وهو دائم الاعتداد بما يعتريه من النعماء ، فاذا دقت وصغرت جعل يجلها ويعظم ، ولو بالتخييل ، من شأنها . وعلى الجملة فان هذا الرجل لو انحدرت عنه كل نعمة لعاش من رضاه فى أوسع نعمة . وعلى هذا لقد كان من أقل الناس شكوى من زمانه . ولعل أوجع ما شكى فيه قوله

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس ؟

(١) اقرأ قصيدته التى أولها :

وخميلة فوق الجزيرة مسها ذهب الأصيل حواشياً ، ومتونا

وهذا قاله وهو منفى من وطنه . ولقد جعل الله النفى من الوطن عديلا للقتل والصلب وتقطيع الأطراف . قال جل محده : «إلا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض » . وأى رجل هذا المنفى من وطنه ؟ هو الذى يقول فى هذا الوطن من القصيدة نفسها :

طنى ، لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى !

ولقد كان شوقى شديد الايمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر . ولم تحص عليه فى هذا الباب زلة لسان أو عثرة قلم ؛ وكان شديد الحنين إلى السيد المسيح صلوات الله عليه ، دائم الذكر له فى شعره ماواتته المناسبة . يذكره فى عطف وشوق ولهفة ، وإذا ذكرت ماركب فى طبع هذا الشاعر من الرقة والرحمة والحنو ودعة النفس أدركت الوجه فى إيثاره لاسم هذا النبى الكريم بكثرة الاشادة والترديد

على أن شوقى . على شدة إيمانه هذا ، كان فى شباب السن مستهتراً بلذائذ الدنيا ، مسرفاً فى الاصابة مما يطيب له منها ، لا يتأثم فى هذا ولا يتكلف مداراة الناس ، فبلغ فيه حداً يشبه الاباحية ، ولكنه حين لحقته السن ، قصر متعته على شهود (السينما) وحضور مجلس الغناء ، وله من بلائه فى النضح عن دولة الاسلام وفى مدحه لسيد الانام (١) أعظم رجاء فى كرم العاقبة وحسن الختام . ولقد قال فى (نهج البردة) إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل . فى الله يجعلنى فى خير معتصم

وهو بعد هذا مفتن بأجمع معانى الكلمة ، يكلف بفنه إلى حد الافتتان ، بل إنه لا يكاد يرى الرجل كل الرجل يتمثل إلا فى الشاعر . ولا يرى للحياة فى جميع صورها غاية الا قرض الشعر . انظر كيف يقول على لسان إحدى من ينسب بهن :

جاذبتنى ثوبى العصى وقالت : أنتم الناس أيها الشعراء !

ولقد كان إلى هذا شديد التمكن من نفسه حتى مايرى فى الدنيا شاعراً يباريه أو يتعلق بغباره .

مشاعره

لم يطاول شوقى فى قرض الشعر ولم يجهد فيه ؛ بل لقد جاء به فتى ؛ وأطلقته قريحته الغضة عالى المعنى ، فخم اللفظ ؛ متلاحم النسج ،

(١) لشوقى فى هذا الباب قصيدتان سابقتان ، عارض باحداهما البردة وبالاخرى الهمزية للبوصيرى عليه رحمة الله ، وله مدائح أخرى فى الرسول صلى الله عليه وسلم

ومدح الخديو توفيقا وهو لما يزل طالباً حدثاً ، ونشرت مدائحه يومئذ فى (الوقائع المصرية) وارتفعت من فورها الى ولى الامر . فدل هذا على ان فيه طبيعة ؛ وانه أوتى الموهبة . ثم لقد كشف الزمن عن ان تلك الموهبة من الضرب الرفيع العالى الذى يضن بنفسه على الأجيال

ولا شك فى أن المواهب الفنية لا تعلل . فان حاولت أن ترد هذا إلى أنه قد دخل فى أصله العنصر العربى ، فهذه ملايين الخلق من خلص العرب ، لم يقولوا الشعر ولم تنتضح به ألسنتهم ، وأكثر من عالجوه منهم لم يرتفعوا الى شىء من حظ شوقى ، وإن أنت رددته الى أنه جرى فى أعراقه الدم اليونانى ، فهذه الملايين من اليونان الخلص لقد تعذرت عليهم ملكة الشعر فلم يجيئوا منه بجيد ولا بردى .

نعم ، لقد يكون للعنصر وللدم دخل فى توجيه شاعرية الشاعر ، وتكوين عقليته وفى تصوير منطقه ، وتلوين عاطفته ، والذهاب بنزعته مذهبا خاصا . ونحو ذلك . أما أن ذلك مما يخلق الموهبة خلقا ، فهذا مالا يكون .

شعره

تقدم لك فى أثناء هذا الكتاب صفة الشعر فى العصر الحديث (من الحملة الفرنسية) . وكيف كان يغلب عليه الضعف والأسفاف ، والدوران فى فنون من الأغراض لا غناء فيها لمطالب العاطفة ، ولا لحاجات المجتمع . ولقد نجم شوقى أول ما نجم والكثرة الغامرة من جمهرة الشعراء على هذا ؛ على أنه من يمن طالعه أن تقدمه إلى قرض الشعر أفذاذ ثلاثة : عبد الله فكرى ، ومحمود سامى البارودى وإسماعيل صبرى . فدلته الموهبة عليهم ، وعدل من فوره إلى احتذائهم ، وانتهاج طريقهم فى تجويد الشعر باصطفاء اللفظ ، وإحكام الصياغة ، والاحتفال للمعانى ، وعدم استهلاكها فى سبيل البديع ، صنع أكثر من يقوم فى العصر من الشعراء .

ولقد كان فى صدر شبابه كلما قرض قصيدة أو نظم مقطوعة من الشعر عرضها على إسماعيل باشا صبرى ، وهو شاعر قد بلغ الغاية من دقة الذهن ، وكمال الذوق ، ورهافة الحس . فلا يزال يعالج معه ماعسى أن يقع من قلق فى اللفظ ، أو انحراف فى المعنى ، أو نشوز على مواقع الجمال . وتلك كانت سنة كثير من الشعراء من قديم الزمان .

وشوقى ، فوق هذا ، كان شديد الاكباب على قراءة الكتب

بوجه عام ، وكتب الأدب على وجه خاص ، ودواوين الشعراء على وجه أخص . ومن أعظم من عنى بقراءة دواوينهم ، واستظهار أشعارهم ، وانتهاج طرائقهم ، ومباراتهم فى منازعهم . أبو نواس ، وأبو تمام ، والبحترى ، والمتنبى . وقد نضح أربعتهم على شعره ، فكان أثر كل منهم فيه بينا . وإنك لتلمح فيه حلاوة أبى نواس ودقة وصفه ، وتصرفه فى فنون الغزل ، وإشادته بمجالس اللهو ، وافتنانه فى الخريات (١) . كما تلمح فيه احتفال أبى تمام للمعانى الرفيعة والارتصاد لاصابتها مهما جشمه ذلك من إعنات اللفظ وجلجلة الصياغة . ولقد تلمح فيه هلهلة البحترى ، وإحكام نسجه ، وبراعة نظمه . أما أثر المتنبى فى شعره فقيما ترى من شيوع الحكمة والاكثار من ضرب المثل

ولا يذهب عنك أن هذا الكلام ليس معناه أن شوقى إنما هو مستعير منهم ومقلد لهم . بل الغرض أنه استظهر أشعارهم فاتصلت بذوقه ، وجرت فى عرقه ، وخالطت طبعه فنضحت على قلمه . والواقع أنه إذا كانت أشعار هؤلاء الشعراء وغيرهم من العناصر التى دخلت على شاعرية شوقى وجلته فى هذه الصورة ، فانه مما لاشك فيه أن للرجل شخصيته القوية الخاصة به ، التى ينفرد بها عن سائر من عداه من الشعراء ، حتى إنك لو عرضت شعره على أهل البصيرة من نقدة الكلام لما ترددوا فى نسبته له وإضافته اليه ، شأن غيره من فحول البيان . واعلم أن احتفال الشاعر للمعانى حتى ليقلق الألفاظ فى سبيلها لا ينافى اجتماعه فى بعض الأحايين لاحكام النسج وتجويد الصياغة . والشاهد على هذا ما نرى فى شعر أبى تمام والبحترى كليهما .

ولا شك أيضاً فى أن من العناصر التى دخلت على شعر شوقى فذهبت به هذا المذهب حذقه اللغة الفرنسية ، وسعة اطلاعه فيها على أدب الغرب ، وتروية عيون بلاغاته . ومن الحق أن يذكر له فى هذا المقام ، أنه كثيرا ماسس من معانى القوم أو معانى شعره ، ومع هذا لقد جلاها عربية خالصة لاتنشز على الذوق العربى ، ولا

(١) اقرأ قصيدته التى أولها :

آذار أقبل قم بنا يا صاح حى الربيع حديقة الأرواح

وكذلك التى أولها

حف كأسها الحبب نهى نفسك نهب

يجد هو فيها ريح الاستعجام . وإذا ذكرنا أن شوقى من أوائل من ارتصدوا لهذا وعالجوه فى العصر الحديث ، فجاء به عربيا خالصا فى مثل هذا اليسر ، قدرنا مبلغ كفايته وتبريزه فى فنون البيان .

كذلك من العوامل التى لها أثر واضح فى شعر شوقى نشأته فى بيت الملك ، ومقامه فى بطانة الأمراء وظهارتهم ، ودخوله فى أدق الأسباب السياسية فى مصر ، سواء ماتصل منها بالدولة المحتلة (انجلترا) أو بالدولة المتبوعة يومئذ (تركيا) .

وفى الغاية ، لاتنس أثر سياحاته الكثيرة فى بلاد الغرب ، وفى بلاد الشرق القريب ، ومخالطته لأصناف الخلق ، ووقوفه على طباعهم وأخلاقهم ومآثر عاداتهم ، وما تجلى من صور الطبيعة فى بلادهم ، وغير ذلك مما لايتهيأ لكثير من الشعراء .

وبعد ، فما لايعتريه الريب أن شوقى يعد بحق ، من أعظم أقطاب الشعراء فى العالم العربى كله : بل إن بعض العقدة ليتخطى به القرون فيصله بأعلام الشعراء فى أزكى عصور العربية وأنضرها يانعا

ولقد تصرف شوقى فى كل فن ، وجال فى كل غرض ، وأصاب من كل مطلب ، فبذ وبرع . وعارض متقدمى الشعراء ومتأخريهم فما قصر ولا تخلف . ولقد ظل جيلا ونصف جيل يرسل غالى الشعر ، ماوقع فى البلد من حدث إلا جلجل بالقريض ، ولا كانت الجلى فى رجاء من أرجاء العالم إلا نظم ماتقطع من دونه علائق الاقلام .

وهنا ينبغى أن يذكر له ولصاحبه حافظ ابراهيم ، عليهما رحمة الله ، أنهما من أوائل من بعثوا الشعر فى الأغراض العامة ، وخاضوا به فى المسائل الاجتماعية ، فأغنوا وأجدوا ، وأصبح أثرهم فى هذا الباب ثابتاً على وجه الزمان .

ومن خصائص شوقى فى شعره أنك قد تراه يمدح أو يرثى أو يتصرف فى غير هذين الفنين من فنون القريض ، ولكنه لايفتأ ينحرف عما هو بسبيله إلى ضرب مثل أو إجراء حكمة فيها كل النفع لو قد أخذ بها الناس .

وهو طويل النفس جداً حتى لقد يبلغ بالقصيد المائة ، وقد ينيف عليها فى غير قلق ولا إسفاف . ولقد بلغت قصيدته (كبار الحوادث فى وادى النيل) مائتين وتسعين بيتاً أكثرها من مصطفى الشعر ومتخير الكلام .

وله مقطوعات شعرية يرجعها بعض حذاق المغنين اليوم (١) ومن شعره الذى لو تقدم به الزمان لكان حقيقاً بأن يتغنى به أمثال ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق قوله من قصيدة (لبنان) :

دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ... فأتيت دون طريقه فرحته
فازور غضباناً وأعرض نافرا ... حال من الغيد الملاح عرفته
فصرفت تلعابى إلى أترابه ... وزعمتهن لباتى فأغرته
فشى إلى وليس أول جؤذر ... وقعت عليه حبائلى فقنصته
قدجاء من سحر الجفون فصادنى ... وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به على حرم الهدى ... لابن البتول وللصلاة وهبته (٢)

وديوان شوقى رحمه الله يقع فى اربعة أجزاء ، طبع منها اثنان . وله غيره فى الشعر كتاب (عظماء الاسلام) ، وكشكول جامع لقصائد لم تنشر ، وقصائد سهلة للأطفال والأغانى ، وربما استغرق هذا الكشكول ثلاثة أجزاء . وله فى النثر كتاب (اسواق الذهب) جارى فيه الزمخشرى رحمه الله فى كتابه (أطواق الذهب) وله روايات شعرية وهى : على بك الكبير ، وكليوبترا ، ومجنون ليلى ، وقمبيز ، وعنترة . وله روايات أخرى نثرية منها : لادياس ، وورقة الآس ومذكرات بنتاؤر ، وأميرة الاندلس . ومن هذا تدرك مبلغ إنتاج الرجل وسخاء ذهنه من يوم نجم إلى ان ادركته الوفاة .

(١) راجع قصيدته (بجارة الوادى)
(٢) ابن البتول هو السيد المسيح عليه السلام

نظهر حديثا

أبو على عامل أرتست

مجموعة من القصص المصرية العصرية

للاستاذ محمود تيمور

يطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش صاغاً

من طرائف الشعر

الى الشتاء

للاستاذ محمود الخفيف

أيها الراحل العنيد وداعا ... قد سئمناك من زمان بعيد
كم تظاهرت بالرحيل خداعا ... فظننا خطاك تمضى تباعا
فاذا أنت مقبل من جديد !

طال شوقى الى الربيع فهيا ... ياشتاء حويت كل عجيب
مذ ترأيت مكفهرا عتيا ... تنذر الناس بكرة وعشيا
بضحى شاحب وليل كئيب !

حين أقبلت يا شتاء علينا ... فى بنود من السحائب سود
جئت قبل الأواز تسعى الينا ... وتوغلت فى الربوع لدينا
بيز دمع الحيا وضحك الرعود

هازئا بالغصون أنت حلاها ... وتعرت على امتداد الضفاف
ولّه الطير عريها فتراها ... نازحات تغربت عن حماها
فى فروع الكروم والصفصاف

وترى كل جدول أو غدير ... ناضب القاع بعد طول امتلاء
يشتكى الجدب فى زمان مطير ... ويطيل السكوت بعد خرير
قل لقياك كان حلو الغناء

شبح أنت ياشتاء مخيف ... ماثل الطيف دائما فى خيالى
قارس البرد زمهرير شفيف ... عاصف أينما حللت عنيف
هيكل قد من سواد الليالى

لست أنساك حين جئت عشاء ... فوق كوخ تناوبته الرياح
لم يجد ساكنوه منك وقاء ... فتراهم أذلة أشقياء
ما دجا الليل أو تراءى الصباح

لست أنساك اذ تمثلت يوما ... شبحا لاح فى زوايا الطريق